المحاضرة التاسعة

النظريات التفسيرية للصراع الدولي بعد الحرب الباردة

شكلت نهاية الحرب الباردة تغيرات جذرية في العلاقات الدولية على مستوى التنظير والممارسة،وقد ظهرت مجموعة من الأطروحات النظرية لتفسير واقع الصراع الدولي في هذه الفترة نورد بعضها كما يلي/

1-أطروحة الفوضى الدولية:

تنطلق هذه الأطروحة من واقع الفوضى و اللا نظام الذي يميز العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب الباردة، و هي تؤكد أن النظام الدولي يتسم بالفوضى لافتقاده إلى سلطة عليا فوق سلطة الدولة وبالتالي فان كل دولة تسعى لتحقيق مصالحها بطريقتها الخاصة.

ولما كانت مصالح الدولة متناقضة فان العلاقات الدولية تتسم بالصراع الدائم، و في ظل هذه الوضعية فان الدول تواجه "معضلة أمنية دائمة " مما يعنى أن قضية الأمن تمثل مسألة محورية في العلاقات الدولية في ظل نظام يتميز بالفوضى. و هكذا تنشا المعضلة الأمنية بسبب وضعية عدم اليقين الناتجة عن حالة الفوضى العالمية، الأمر الذي يؤدي إلى أفعال و ردود أفعال للدول تتمحور حول زيادة القدرات العسكرية بصورة مستمرة و هو ما يرسخ حالة اللاأمن.

يؤكد الواقعيون الجدد و على رأسهم "كينت والتز" أن البنية الفوضوية للنظام الدولي ترفع من درجات عدم الثقة و الشكوك بين الدول حيث أن احتمالات الحرب في الأنظمة الفوضوية تدفع الدول للحفاظ على الجيوش حتى في أوقات السلم، و بذلك تصبح الحرب سمة دائمة من سمات السياسات الدولية و يجب على الدول في هذه الحالة أن تعير اهتمامها بقوتها و أن تكون مدركة للأخطار الناجمة عن الصراع و الحرب.

أما المنظور الليبرالي فرغم اعتراف أنصاره عموما بالطبيعة الفوضوية للسياسة الدولية إلا أنهم خلافا للواقعيين يرون إمكانية التخفيف من حدة هذه الفوضى عن طريق تعزيز السياسات التعاونية و من خلال التأكيد على دور المؤسسات الدولية و الإقليمية، و هم

ينتقدون الصورة الواقعية للفوضوية التي تركز فقط على المواقف المتطرفة و تغفل الاعتماد الاقتصادي المتبادل. و بالتالي فان المؤسسات الدولية الدولية تسعى بطريقة طوعية من اجل سلمية العلاقات الدولية حيث تشكل مجموعة العلاقات التعاونية بين الدول بداية روابط اجتماعية تعمل على منع استخدام العنف أو التهديد باستخدام القوة.

لحل المعضلة الأمنية التي تواجهها الدول تقترح الليبرالية الجديدة "نظرية السلام الديمقراطي" و هي نظرية تنطلق من فرضية مفادها أن الدول الديمقراطية لا يحارب بعضها بعضا، بمعنى أن الدول المستقرة دستوريا لا تخوض حروبا ضد بعضها مع أنها تخوض العديد من الحروب ضد الدول غير الديمقراطية.

يؤكد الليبراليون أن الديمقراطيات لا تتحارب نتيجة مجموعتين من الأسباب :

*المجموعة الأولى تتعلق بالأسباب المعيارية و الثقافية، حيث أن الديمقراطيات تتقاسم مجموعة من المعايير تجعل من الصعب استخدام القوة ضد الدول الديمقراطية الأخرى.

*المجموعة الثانية تتعلق بالأسباب الهيكلية و المؤسساتية، حيث أن المؤسسات تضع قيودا على الحكومات، كما أن مراعاة توجهات الرأي العام في الدول الديمقراطية يمكن أن يكبح جماح الحرب.

تعرضت أطروحة الفوضى لانتقادات عديدة منها أن الفوضى العالمية ليست سوى حالة مرضية غير طبيعية، و أن النظام و الاستقرار هو القاعدة التي ستميز العالم كما أن النظام الدولي هو دائما نظام توازني يحمل في داخله عناصر الضبط و التصحيح الذاتي، و أن التوازن و السلام يشكلان الوضع الطبيعي في العالم المعاصر.

2-أطروحة نهاية التاريخ :

أعلن"فرانسيس فوكوياما" نهاية التاريخ مع الانتصار الكوني و الشامل للديمقراطية الليبرالية عبر العالم باعتبار ذلك يشكل المعنى الأسمى للتاريخ ، حيث لم تعد هناك تحديات حقيقية كفيلة بمنافسة النظام الليبرالي.

تقوم أطروحة نهاية التاريخ عند"فوكوياما" على فكرة أساسية مفادها أنه بنهاية الحرب الباردة انتصرت الأفكار الليبرالية و الديمقراطية و رأسمالية السوق باعتبارها تجسد النموذج الإنساني الأرقى و الأمثل.

يرى فوكوياما بان التاريخ قد انتهى و انتهى معه الصراع على القضايا الكبرى، بمعنى انه لا توجد تناقضات جوهرية تهدد الليبرالية الحديثة بعد فشل الأنظمة البديلة.

لقد تنبأ فوكوياما بانقسام الصراعات الدولية و المجتمعات في المستقبل إلى شطرين، أحدهما هو العالم التاريخي و يتمثل في دول الجنوب الذي سيبقى يعاني من الصراعات الاثنية و الايديلوجية. و الثاني هو العالم ما بعد التاريخ و هو العالم الرأسمالي الغربي.

و هو يؤكد أن العلاقة بين العالم التاريخي و ما بعد التاريخي ستعرف تفاعلات محدودة و ستتبلور حول مجموعة محاور للتصادم أهمها:

البترول و الهجرة و التهديدات المحتملة بفعل الانتشار الواسع للتكنولوجيا العسكرية لدى عدة دول في الجنوب.

أما فيما يخص العلاقة بين دول ما بعد التاريخ فيعتبر فوكوياما أنه نظرا لاختلاف سلوكها عن سلوك الدول التاريخية فستكون لدى ديمقراطيات ما بعد التاريخ مصلحة مشتركة في حماية نفسها من الأخطار الخارجية ،و رغم أن فوكوياما يبشر بزمن عالمي للديمقراطية تتضاءل فيه الصراعات إلا انه يعتبر بان العلاقة بين النظم الديمقراطية و النظم غير

الديمقراطية ستظل تتميز بالشك و التخوف، و سيظل استخدام القوة هو الحكم النهائي في العلاقات بينها رغم الدرجة المتزايدة من الاعتماد المتبادل في المجال الاقتصادي.

و كرؤية توقعية فان أطروحة نهاية التاريخ تتبنى إيديولوجية اقصائية تسعى إلى تكريس التهميش و تغذية روح العداء و المواجهة مع المجتمعات والدول غير الغربية.

3-أطروحة صدام الحضارات:

يتمثل المنطلق المركزي لأطروحة"صدام الحضارات" لصاحبها"صامويل هنتنغتون" في تبنيها الصريح لفكرة اعتبار الحضارة العامل الجديد الذي سيتحكم في صيرورة العلاقات الدولية، و أن ظاهرة التصادم بين الحضارات ستحل محل الحرب الباردة باعتبارها الظاهرة المركزية للصراع الدولي، و بالتالي فالانقسامات الكبرى في العالم ستكون انقسامات ثقافية تتصادم في إطارها مجموعة من الكتل الحضارية المتنافسة.

يعتبر"هنتنغتون" في هذا السياق أن الصراعات بين المجموعات في الحضارات المختلفة ستكون أكثر توترا و أكثر استدامة و عنفا من الصراعات بين المجموعات في الحضارة نفسها خاصة على مستوى المنافسة على القدرات و النفوذ ضمن النظام الدولي، كما أن المحرك الرئيسي لهذا التنافس هو ما بين الغرب بصفته الحضارة المسيطرة من جهة و البقية من جهة أخرى.

تعرضت أطروحة صدام الحضارات لعدة انتقادات كان من أبرزها أن "هنتغتون" لم يقدم مبررا لحدوث الصراع بين الحضارات، فمجرد وجود الاختلافات بين الحضارات لا يشكل في حد ذاته سببا للصراع، كما أن التشابهات الثقافية لا تقلل في نفس الوقت من احتمالات نشوب الصراعات.

كذلك فان تركيز "هنتغتون" على النمط الصراعي على حساب النمط التعاوني للتفاعلات الحضارية يتوازى مع تركيزه على الاختلافات الحضارية على حساب المشترك الحضاري.

من جهة أخرى وجدت الواقعية البيئة الدولية القائمة على الصراع الحضاري مناخا ملائما لتجسيد معظم أفكارها و فرضياتها لأن الدول في إطار الصراع الحضاري تسعى لتحقيق مصالحها نتيجة لندرة الموارد و المصادر في العالم.

4-النظرية البنائية و حل النزاعات:

يعلي المقترب البنائي من قيمة الأفكار و يعطي أهمية كبيرة للأبعاد الاجتماعية و التاريخية للظاهرة السياسية، كما يهتم بالخطاب السائد في المجتمع الذي يعكس و يشتمل المعتقدات و المصالح و ينشئ معايير السلوك المقبولة، و يؤكد على أن النظم و المعتقدات و القيم و الأفكار المشتركة إنما تمارس تأثيرا قويا و كبيرا على السلوك السياسي و الاجتماعي باعتبارها تشكل الهويات الاجتماعية للفاعلين السياسيين.في هذا الإطار يتصور البنائيون أن الحل للنزاعات الأثنية مثلا يتم عبر الحوار وتغيير الخطاب وإعادة تشكيل الوعي الأثني للجماعات المتصارعة وتوجيهه بشكل ايجابي.

كما أن المقترب البنائي يبدو ملائما لدراسة حالة حوار الحضارات،باعتباره

يسعى لاستكشاف إمكانيات تشارك الفواعل العالمية في حوار نقدي و رشيد يمكن بناءا على نتائجه إعادة النظر في أسس العلاقات بين هذه الفواعل، و إيجاد مبادئ مشتركة للتعايش و الاحترام المتبادل بغض النظر عن حالات الاختلافات السياسية و القيمية.